المملكة العربيّة السعوديّة
وزارة الشّؤون الإسلاميّة والأوقاف
والدّعوة والإرشاد

التّفسير البسيط للقرآن الكريم

الجزء الثامن والعشرون

بقلم
د. حسن محمّد باجودة
أستاذ الدّراسات القرآنيّة البيانيّة
جامعة أمّ القرى بمكّة المكرّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين، سيّدنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فهذا تفسيرٌ مبسّطٌ للجزء الثّامن والعشرين من القرآن الكريم ، يغطّي سور المجادلة ، والحشر ، والممتحنة ، والصّفّ ، والجمعة ، والمنافقون ، والتّغابن ، والطّلاق ، والتّحريم . وقد قمت بعمله على غرار تفسير الأجزاء السّبعة والعشرين السّابقة . إنّ هذا الجزء الثّامن والعشرين هو مَيْدان التّفسير للمتسابقين ، في الحقل الأوّل ، الّذي يشمل حفظ القرآن الكريم كاملاً مع التّفسير ، من بين الحقول الخمسة ، في مسابقة الملك عبدالعزيز الدَّوْليّة الحادية والثّلاثين ، لحفظ القرآن الكريم وتجويده وتفسيره ، الّتي عقدتها وزارة الشّئون الإسلاميّة والأوقاف والدّعوة والإرشاد ، برئاسة معالي وزيرها الشّيخ صالح بن عبدالعزيز بن محمّد آل الشّيخ ، في أثناء الفترة من ١٦/ ١٠/ ١٤٣٠هـ حتّى ٢٢/ ١٠/ ١٤٣٠هـ الموافق ٥/ ١٠/ ٢٠٠٩م حتّى ١١/ ١٠/ ٢٠٠٩م وكأنّ هذا التّفسير تتويجٌ للأعمال الّتي تمّت في مجال التّفسير ، في أثناء المسابقة . علماً بأنّ ميدان المتسابقين في المسابقة القادمة بإذن الله تعالى هو الجزء التّاسع والعشرون .

وأنتهز هذه المناسبة المباركة ، كي أوجّه خالص شكري وتقديري لوزارة الشئون الإسلاميّة والأوقاف والدّعوة والإرشاد ، وعلى رأسها معالي الوزير ، على الفرصة الّتي منحتني إيّاها ، بأن أقوم بعمل هذا التّفسير ، الّذي حَرَصْت فيه ، كما حرصت في سابقيه ، على أمورٍ أهمّها ثلاثة :

١- أن أبيّن مظاهر الترابط بين الآيات الكريمات والموضوعات .

٢- أن أشير إلى الدّروس الّتي يمكن أن تستفاد .

٣- أن أنسب الأقوال كلّها إلى مصادرها .

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، إنّه سميعٌ مجيب .

: ﴿ ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا . ربّنا ولا تَحْمِلْ علينا إصْراً كما حَمَلْتَه على الّذين من قبلنا . ربّنا ولا تحمّلنا مالا طاقة لنا به . واعف عنّا واغفر لنا وارحمنا . أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾

﴿ سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون . وسلامٌ على المرسلين . والحمد لله ربّ العالمين ﴾

وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين ، والحمد لله ربّ العالمين .

مكّة المكرّمة
صبيحة يوم الجمعة
١٤٢٣/١١/١٧هـ
الموافق ٢٠٠٣/١/١٠م

كتبه الفقير إلى عفو ربّه
د. حسن محمّد باجودة
أستاذ الدّراسات القرآنيّة البيانيّة
جامعة أمّ القرى بمكّة المكرّمة

أوّلاً: سورة المجادلة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ
تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝١ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ
أُمَّهَٰتِهِمۡۖ إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ
وَزُورٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ۝٢ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا
قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ
خَبِيرٞ ۝٣ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ
يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ
وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٤ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ
مِن قَبۡلِهِمۡۚ وَقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ ۝٥ يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ
جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ۝٦ أَلَمۡ
تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ
إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ
مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ۝٧
أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجۡوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَيَتَنَٰجَوۡنَ بِٱلۡإِثۡمِ

وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ
فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ يَصۡلَوۡنَهَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ
٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ
ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٩ إِنَّمَا
ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـٔٗا إِلَّا بِإِذۡنِ
ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٠ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ
فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ
لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٢ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ
يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ
ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٣ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ
قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ
يَعۡلَمُونَ ١٤ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٥ ٱتَّخَذُوٓاْ
أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٦ لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ
أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١٧

يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ
أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ
ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ
حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

بين يَدَيِ التّفسير

(١)

((الظِّهارُ مُنْكَرٌ من القول وزورٌ وكفّارته))

الآيات (١–٤)

قد سمع الله تعالى من فوق سبع سماوات قول خولة بنت ثعلبة الأنصاريّة الّتي تجادلك يا محمّد في زوجها أوس بن الصّامت الأنصاريّ الّذي ظاهر منها وكان ذلك في الجاهليّة طلاقا . قد سمع الله تعالى قول الّتي تراجعك في زوجها وتشتكي إلى الله تعالى وَحدَتَهَا وفاقتها وصِبْيَةً صغاراً إن ضمّتهم إليه ضاعوا ، أو إليها جاعوا . والله تعالى يسمع تراجعكما . إنّ الله تعالى سميعٌ لكلّ صوت ، بصيرٌ بكلّ نيّةٍ وعمل .

الّذين يظاهرون منكم أيّها المؤمنون من زوجاتهم بقول الواحد منهم لها : أنت عليّ كظهر أمّي ، والمعنى أنت عليّ كبطن أمّي في حرمة النّكاح ، وقد تحوّلوا من البطن إلى الظّهر إكراماً للوالدة ، الّذين يظاهرون منكم من زوجاتهم ما هنّ بالظِّهار أُمّهاتِهِمْ. ما أمّهاتهم إلاّ اللاّئي ولدنّهم وليس الزّوجاتِ المظاهرَ منهنّ . وإنّ الأزواج بهذا الظّهار ليقولون منكراً من القول شَرْعاً وعَقْلاً وزوراً وفجورا . وإنّ الله تعالى لعفوٌّ غفور لمن استغفر ربّه جلّ وعلا وتاب وأناب .

والّذين يظاهرون من نسائهم ثمّ يعودون فيما قالوا ويريدون وَطْءَ زوجاتهم فعلى الواحد منهم عتق رقبة ، عبد أو أَمَة ، من قبل أن يتماسّ الزوجان بالوطء . ذلكم الحكم فرضه الله تعالى عليكم عِظةً لكم تتّعظون بها فتنتهون عن الظِّهارِ وقَوْلِ المنكر من القول والكذب . والله تعالى بما تعملون خبيرٌ محيطٌ ببواطن الأمور كظواهرها . فمن لم يجد الرّقبة فعليه صيام شهرين متتابعين لا فصل بين أيّامهما بإفطارٍ إلاّ بعذر ثمّ يَبْنِي على ما مَضَى

من الصّوم . وذلك الصّيام من قبل أن يتماسّ الزوجان بالوطء . فمن لم يستطع الصّوم فعليه إطعام ستّين مسكيناً من قبل أن يتماسّا بالوطء ، لكلّ مسكين مُدٌّ من غالب قوت البلد . ذلك التّخفيف في الكفّارة لتؤمنوا بالله تعالى وبرسوله صلّى الله عليه وسلّم المبلّغ عن ربّه جلّ وعلا . وتلك هي حدود الله تعالى الّتي لا ينبغي لكم ولا يحلّ لكم أيّها المؤمنون أن تتجاوزوها وتعتدوها . وللكافرين عذابٌ أليمٌ في نار الجحيم .

(٢)

((الله تعالى عليمٌ بكلّ شيءٍ ومُجازٍ عليه فينبغي أن تكون النَّجْوَى في طاعة الله تعالى ، وينبغي اسْتِباقُ الخيرات وتقديمُ الصّدقة قبل مناجاته عليه الصّلاة والسّلام))

الآيات (٥-١٣)

للكافرين الّذين يخالفون الله ورسوله عذابٌ أليمٌ في نار جهنّم يوم القيامة ، ولهم خزيٌ عظيمٌ في الحياة الأولى ، وذلك على غرار الخزي العظيم الّذي كان من نصيب المكذّبين السّابقين المخالفين . وقد أنزلنا في هذا الكتاب العزيز آياتٍ بيّناتٍ ومعجزاتٍ باهرات . وللكافرين بآيات الله تعالى البيّنات إلى جانب خزي الدّنيا عذابٌ مهينٌ في الآخرة . في يوم القيامة يبعث الله تعالى جميع المكذّبين فينبّئهم بما عملوا في الحياة الدّنيا . لقد أحصاه الله تعالى وعدّه عدّاً وهم نَسُوه . والله تعالى شهيدٌ على كلّ شيء ، لا يغيب عنه مثقال درّةٍ في السّماوات ولا في الأرض .

ألم تنظر يا محمّد بعين قلبك فترى أن الله سبحانه وتعالى يعلم ما في السّماوات وما الأرض فلا يَخْفَى عليه جلّ وعلا شيءٌ فيهما . ما يكون من نجوى ثلاثةٍ سرّاً إلا هو معهم بعلمه ، ولا خمسةٍ إلاّ هو معهم بعلمه ، ولا أقلّ من ثلاثة بأن يكون ثمّة اثنان يتسارّان ،

ولا أكثر بأن يكون ثمّة كثيرٌ من المتسارّين إلاّ هو جلّ وعلا معهم بعلمه في أيّ مكانٍ كانوا ، ثمّ ينبّئهم بما عملوا يوم القيامة . إنّ الله تعالى بكلّ شيءٍ عليم ، فلا يخفى عليه عزّ وجلّ شيءٌ في الأرض ولا في السّماء .

ألم ترَ يا محمّد إلى اليهود والمنافقين الّذين نُهُوا عن التّناجي بالإثم والعدوان ومعصية الرّسول صلّى الله عليه وسلّم ثمّ يعودون لما نُهُوا عنه . وإذا جاءك اليهود على جهة الخصوص حَيَّوْك بما لم يحيّك به الله تعالى وذلك بالقول : السّام عليك بمعنى الموت السّريع عليك وليس بالقول : السّلام عليك بمعنى الأمن والطّمأنينة . ويقول أولئك اليهود الملعونون ، في أنفسهم الأمّارة بالسّوء : هلاّ يعذّبنا الله تعالى عاجلاً بما نقول للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم مِنْ لحن القول ومِنْ تكذيب . كفاهم جهنّم يصلونها فبئس المصير جهنّم .

وفي مقابل عصيان المنافقين واليهود طاعة المؤمنين . يا أيّها الّذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تَتَناجَوْ بالإثم والعدوان ومعصية الرّسول صلّى الله عليه وسلّم وتناجَوْا بما فيه طاعة الله تعالى والقرب منه واتّقاء عذابه . واتّقوا الله تعالى الّذي إليه تُحْشرون يوم القيامة للحساب والجزاء . اعلموا أيّها المؤمنون أنّما النّجوى من الشّيطان الرّجيم ليحزن الّذين آمنوا ويوقعهم في الهَمّ والغَمّ . وليس ذلك بضارّهم شيئاً إلاّ بإذن الله تعالى . وعلى الله تعالى وحده دون سواه فليتوكّل المؤمنون .

وكما استجاب المؤمنون فانتهوا عن الإثم والعدوان والعصيان استجابوا فأتمروا بما أُمِرُوا به . يا أيّها الّذين آمنوا إذا قيل لكم توسّعوا لإخوانكم في مجالس رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فتوسّعوا يوسّع الله تعالى منازلكم في الجنّة . وإذا قيل ارتفعوا إلى كلّ خيرٍ

وبِرٍّ كالصّلاة والأمر بالمعروف وما إليهما فارتفعوا يرفع الله تعالى الّذين آمنوا منكم والّذين أوتوا العلم درجاتٍ في جنّات النّعيم . والله تعالى بما تعملون خبيرٌ بالبواطن ومن باب الأحرى الظّواهر .

ومن صميم استباق الخيرات تقديم الصّدقات بين يدي مناجاة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم . يا أيّها الّذين آمنوا إذا ناجيتم الرّسول صلّى الله عليه وسلّم فقدّموا بين يدي نجواكم صدقةً للفقراء . ذلك خيرٌ لكم عند الله تعالى ، وأطهر لقلوبكم من المآثم . فإن لم تجدوا ما تتصدّقون به فاعلموا أنّ الله تعالى غفورٌ رحيم . أخشيتم بتقديم الصّدقة الفقر . فإذ لم تفعلوا وتاب الله تعالى عليكم ، ونُسِخَ هذا الحكم فضلاً منه عزّ وجلّ ونعمة ، فأدّوا فرائض الله تعالى عليكم فأقيموا الصّلاة بأركانها وواجباتها وسننها وكلّ متعلّقاتها ، وآتوا الزّكاة أصحابها ، وأطيعوا الله تعالى وأطيعوا رسوله صلّى الله عليه وسلّم طاعةً مطلقة . والله تعالى خبيرٌ بما تعملون مطّلعٌ على البواطن كالظّواهر .

(٣)

((المنافقون جُنْدُ الشّيطان الرّجيم يناصحون اليهود المغضوب عليهم ، ويدّعون الإيمان ، ويتأكّد كذبهم وهوانهم يوم القيامة))

الآيات (١٤-١٩)

ألم تر يا محمّد بعين قلبك وتنظر إلى المنافقين الّذين ناصحوا قوماً غضب الله تعالى عليهم وهم اليهود . وهؤلاء المنافقون ليسوا منكم أيّها المؤمنون ولا من اليهود بل هم قومٌ مُذَبْذَبون . ويحلف المنافقون على الكذب بقولهم إنّهم مؤمنون ، وهم يعلمون أنّهم يكذبون . أعدّ الله تعالى لهم يوم القيامة عذاباً شديداً ، إنّهم ساء ما كانوا يعملون في الحياة

الدّنيا . إنّهم اتّخذوا أَيْمانَهُم بأنّهم مؤمنون وِقايَةً يأمنون بها من المؤمنين على دمائهم وأموالهم وأعراضهم ، فصدّوا عن سبيل الله تعالى بحرمانهم المؤمنين من قتالهم في سبيل الله تعالى ، وصدّوا عن سبيل الله تعالى باغترار المؤمنين بهم باعتبارهم مؤمنين رغم تقصيرهم في جنب الله تعالى وانعكاس هذا التّقصير بالضرورة على فريقٍ من المؤمنين الّذين يتأثّرون بهم . إنّ للمنافقين عذاباً مهيناً لهم . إنّهم لن تُغْنِيَ عنهم أموالُهُمْ ولا أولادُهُمْ من الله تعالى شيئاً . أولئك أصحاب النّار وأهلها ، هم فيها خالدون أبداً . يوم يبعثهم الله تعالى جميعاً من قبورهم في الآخرة فيحلفون له جلّ وعلا بأنّهم مؤمنون كما كانوا يحلفون لكم في الدّنيا فتصدّقونهم ، ويحسبون أنّهم بأَيْمانهم الكاذبة على شيءٍ من النّفع في الآخرة قياساً على النّفع الّذي حصلوا عليه في الدّنيا . ألا إنّ المنافقين هم الكاذبون في الدّنيا والآخرة . لقد اسْتَوْلَى الشّيطان الرّجيم على المنافقين فأنساهم ذكر الله تعالى . أولئك المنافقون حزب الشّيطان الرّجيم وجنده . ألا إنّ حزب الشّيطان الرّجيم هم الخاسرون في الأولى والآخرة .

(٤)

((حِزْبُ الله تعالى هم المفلحون))

الآيات (٢٠-٢٢)

إنّ الّذين يخالفون الله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وسلّم ويكونون في غير طريق الهدى من الله تعالى بواسطة رسوله صلّى الله عليه وسلّم أولئك في الأَذَلّين المَهِينين في الأولى والآخرة . قضى الله تعالى في أمّ الكتاب لأغلبنّ أنا ورسلي بالحجّة واللّسان ، وبالسّيف والسّنان . إنّ الله تعالى قويٌّ قاهر ، وعزيزٌ غالب . لا تجد يا محمّد قوماً يؤمنون بالله تعالى واليوم الآخر يوادّون ويخالّون من شاقّ الله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وسلّم

وخالفهما ، ولو كان المخالفون آباءهم ، أو أبناءهم ، أو إخوانهم ، أو أهلهم وقومهم . أولئك كتب الله تعالى في قلوبهم الإيمان الصّادق ، وقوّاهم بروحٍ منه ، ويدخلهم جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً . رضي الله تعالى عنهم بطاعتهم إيّاه في الدّنيا ، ورضوا عنه بإدخالهم جنّات النّعيم في الآخرة . أولئك حِزْبُ الله تعالى وجُنْدُه . ألا إنّ حزب الله تعالى هم المفلحون الفائزون في الأولى والآخرة .

التّفسير

(١)
((الظِّهار منكرٌ من القول وزورٌ وكفّارته))
الآيات (١-٤)

قَد سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝١

قد سمع الله : يا محمّد(١)

قول الّتي تجادلك في زوجها : قول الّتي تراجعك أيّها النّبيّ في زوجها المظاهر منها(٢) وهي خَوْلة بنت ثَعْلَبة ، ويقال خُوَيْلة(٣) وزوجها أوس بن الصّامت(٤) وكلاهما مِن الأنصار(٥)

وتشتكي إلى الله : وَحْدَتها وفاقتها وصِبْيَةً صِغارا ، إن ضمّتهم إليه ضاعوا ، أو إليها جاعوا(٦)

والله يسمع تحاوركما : تراجعكما(٧)

سبب النّزول

رَوَي الإمام أحمد عن عائشة قالت : الحمد لله الّذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم تكلّمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول ، فأنزل الله عزّ وجلّ الآية الكريمة(٨) وقالت عائشة : تبارك الّذي وَسِعَ سمعه كلّ شيء ، إنّي لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ،ويخفي عليّ بعضه ، وهي تشتكي زوجها

(١) تفسير الطّبري ٢٨/ ٢ .
(٢) الجلالين .
(٣) ترجمتها في تهذيب الأسماء واللّغات للإمام النّووي ٢/ ٣٤٢ .
(٤) ترجمته في تهذيب الأسماء واللّغات ١/ ١٢٩ وانظر تفسير الطّبرى ٢٨/ ٢ فما بعدها وتفسير ابن كثير ٢/ ٦٠ و ٦١ وأسباب النّزول للواحدي ٤٧١– ٤٧٣ وسنن أبي داود ٢/ ٢٦٦حديث رقم ٢٢١٤ .
(٥) تهذيب الأسماء واللّغات ١/ ١٢٩ و ٢/ ٣٤٢ .
(٦) الجلالين والمحرّر الوجيز ١٥/ ٤٣٦ والكشّاف ٣/ ٢٠٥ .
(٧) الجلالين .
(٨) تفسير ابن كثير ٨/ ٦٠ وصحيح البخاري ٩/ ١٤٤ وفتح الباري ١٣/ ٣٧٢ و ٣٧٤ .

إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهي تقول : يا رسول الله ، أَبْكي شبابي ، ونَثَرْتُ له بطني ، حتّى إذا كَبِر سنّي ، وانقطع ولدي ، ظاهر منّي . اللهمّ إنّي أشكو إليك . قالت : فما بَرِحَتْ حتّى نزل جبريل عليه السّلام بهذه الآيات[1]

قد سمع الله تعالى من فوق سبع سماوات قول خولة بنت ثعلبة الّتي تراجعك أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم في زوجها أوس بن الصّامت الّذي ظاهَرَ منها وقال لها : أنت عليّ كظهر أمّي ، وكان في الجاهليّة طلاقا[2] وتشتكي المجادلة إلى الله تعالى ما لديها من الهمّ بظِهار زوجها منها وتسأله الفَرَج[3] والله تعالى يسمع فوق سبع سماوات تراجعكما. إنّ الله تعالى سميعٌ لكلّ قول ، بصيرٌ بكلّ نيّة وفعل . فلا يخفى على الله تعالى شيءٌ في الأرض ولا في السّماء .

ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ۝٢

الّذين يظاهرون منكم من نسائهم : أصل الظِّهار مشتقٌّ من الظَّهْر ، وذلك أنّ الجاهليّة كانوا إذا تظاهر أحدٌ من امرأته قال لها : أنت عليّ كظهر أمّي . ثمّ في الشّرع كان الظِّهار في سائر الأعضاء قياساً على الظّهر . وكان الظّهار عند الجاهليّة طلاقا ،

---

(١) أسباب النّزول ٤٧١ وانظر تفسير ابن كثير ٨/ ٦٢ و ٦٣

(٢) النّهاية في غريب الحديث والأثر ٣/ ١٦٥ وانظر تفسير الطّبري ٢٨/ ٦ .

(٣) تفسير الطّبري ٢٨/ ٦ .

فأرخص الله لهذه الأمّة وجعل فيه كفّارة ، ولم يجعله طلاقاً كما كانوا يعتمدونه في جاهليّتهم . هكذا قال غير واحدٍ من السَّلَف[1] يقال : ظاهر الرّجل من امرأته ظِهارا. وتظهّر وتظاهر إذا قال لها : أنت عليّ كظهر أمّي . وقيل إنّهم أرادوا : أنت عليّ كبطن أمّي ، أي كجماعها ، فَكَنَوْا بالظّهر عن البطن للمجاورة[2] وإنّما عُدّي الظّهار بمن ، لأنّهم كانوا إذا ظاهروا المرأة تجنّبوها كما يتجنّبون المطلّقة ويحترزون منها . فكأنّ قوله : ظاهر من امرأته : أي بُعد واحْتَرَزَ منها[3] .

إن : حرف نفي[4] .

منكراً من القول : تحكم العقول الصّحيحة بقبحه .

وزورا[5] : كذبا[6]

قال سعيد بن جبير : كان الإيلاء والظِّهار من طلاق الجاهليّة ، فوقّت الله الإيلاء أربعة أشهر ، وجعل في الظّهار الكفّارة[7] .

الّذين يظاهرون منكم أيّها المؤمنون من زوجاتهم على عادة الجاهليّة بقول الواحد منهم لزوجته إذا أراد طلاقها : أنتِ عليّ كظهر أمّي ، أي كبطن أمّي في حرمة نكاحها، لا تصير الزّوجة بالظّهار أمّا . ما أمّهاتهم إلاّ اللّائي ولدنهم وليس الزّوجات المظاهَرَ منهنّ. وإنّهم بالظّهار ليقولون قولاً ينكره الشّرع والعقل، وكذباً

---

(١) تفسير ابن كثير ٨/ ٦٣ .
(٢) النّهاية في غريب الحديث والأثر ٣/ ١٦٥ .
(٣) النّهاية في غريب الحديث والأثر ٣/ ١٦٥ .
(٤) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٢/ ٢٨٨ .
(٥) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "نكر" ٢/ ٦٥٤ .
(٦) تفسير الطّبري ٢٨/ ٧ .
(٧) تفسير ابن كثير ٨/ ٦٤ والإيلاء حَلِفُ الزّوج ألاّ يجامع زوجته .

صريحاً . وإنّ الله سبحانه وتعالى لَعَفُوٌّ غفورٌ لمن تاب وأناب واستغفر الله تعالى الّذي يغفر الذّنب ويقبل التّوب .

وفي سورة الأحزاب المدنيّة الكريمة آيةٌ كريمةٌ أخرى أكّدت في إحدى جزئيّاتها هذا المعنى . قال تعالى[١] :﴿ ما جعل الله لرجلٍ من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللّائي تظاهرون منهنّ أمّهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم . ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحقّ وهو يهدي السّبيل ﴾

وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ۝٣ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٤

ثمّ يعودون لما قالوا : ثمّ يعودون فيما قالوا[٢] لأنّ معنى الكلام : ثمّ يعودون لنقض ما قالوا من التّحريم فيحلّلونه[٣] .

فتحرير رقبة : فعليه تحرير رقبة ، يعني عتق رقبة عبد أو أَمَة[٤] .

من قبل أن يتماسّا : بالوطء[٥] والمسّ النّكاح[٦] ولا يقع في الظّهار طلاق[٧]

---

(١) سورة الأحزاب ٤ .
(٢) الجلالين .
(٣) تفسير الطّبري ٢٨/ ٧
(٤) تفسير الطّبري ٢٨/ ٧
(٥) الجلالين .
(٦) تفسير الطّبري ٢٨/ ٧
(٧) تفسير الطّبري ٢٨/ ٧

ذلكم توعظون به : أوجب ربّكم ذلك عليكم عظةً لكم تتّعظون به فتنتهون عن الظّهار وقول الزّور[١] .

فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسّا : فمن لم يجد رقبة يحرّرها فعليه صيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسّا . والشّهران المتتابعان هما اللّذان لا فصل بينهما بإفطارٍ في نهار شيءٍ منهما إلاّ من عذر[٢] فإذا زال العذر بَنَى على ما مَضَى من الصّوم[٣] وقال آخرون : بل يستأنف[٤]

فإطعام ستّين مسكيناً : فعليه إطعام ستّين مسكيناً من قبل أن يتماسّا . حملاً للمطلق على المقيّد . لكلّ مسكين مُدٌّ من غالب قوت البلد[٥]

ذلك : أي التّخفيف في الكفّارة[٦]

لتؤمنوا بالله ورسوله : كي تقرّوا بتوحيد الله ورسالة الرّسول محمّد صلّى الله عليه وسلّم وتصدّقوا بذلك وتعملوا به وتنتهوا عن قول الزّور والكذب[٧]

والّذين يظاهرون من نسائهم ثمّ يعودون فيما قالوا من التّحريم رغبةً في الوطء فعلى المظاهر تحرير رقبة ، عبدٍ أو أَمة ، من قبل أن يتماسّ الزّوجان بالوطء . أوجب ربكم ذلك عليكم عظةً لكم كي تنتهوا عن الظّهار وقول المنكر والكذب . والله بما

---

(١) تفسير الطّبري ٢٨/ ٨ .
(٢) تفسير الطّبري ٢٨/ ٨ .
(٣) تفسير الطّبري ٢٨/ ٨ .
(٤) تفسير الطّبري ٢٨/ ٨
(٥) الجلالين والمحرّر الوجيز ١٥/ ٤٤١ .
(٦) الجلالين والمحرّر الوجيز ١٥/ ٤٤١ .
(٧) انظر تفسير الطّبري ٢٨/ ٩ .

تعملون خبيرٌ مطّلعٌ على بواطن الأمور كظاهرها .

فمن لم يجد الرّقبة الّتي يعتقها ، فعليه صيام شهرين متتابعين بلا انقطاع إلاّ لعذر، من قبل أن يتماسّ الزّوجان بالوطء .

فمن لم يستطع صيام شهرين متتابعين فعليه إطعام ستّين مسكيناً من قبل أن يتماسّا بالوطء . لكلّ مسكينٍ مُدٌّ من غالبٍ قوت البلد .

ذلك التّخفيف من ربّكم بعدم اعتبار الظّهار طلاقاً ، والتّدرّج في الكفّارة ، لتؤمنوا بالله تعالى ربّا ، وبرسوله محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم نبيّاً ورسولاً وهادياً .

وتلك الأحكام حدود الله تعالى فلا تعتدوها .

وللكافرين بالله تعالى وبرسوله صلّى الله عليه وسلّم وبأحكام الله تعالى عذابٌ مؤلم

رُوِيَ أنّ عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه لَقِيَتْهُ امرأةٌ وهو يسير مع النّاس فاستوقفته فوقف لها ودنا منها وأَصْغَى إليها رأسه ووضع يده على منكبيها حتّى قضت حاجتها وانصرفت . فقال له رجل : يا أمير المؤمنين حبست رجالات قريش على هذه العجوز! قال ويحك ! وتدري من هذه ؟ قال : لا . قال هذه امرأةٌ سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات . هذه خَوْلَة بنت ثعلبة . والله لو لم تنصرف عنّي إلى اللّيل ما انصرفت حتّى تقضي حاجتها إلاّ أن تحضر صلاة فأصلّيها ثمّ أرجع إليها حتى تقضي حاجتها[1] .

---

(١) تفسير ابن كثير ٨/ ٦٠ والإصابة ٤/ ٢٩٠ .

(١)

((الله تعالى عليمٌ بكلّ شيءٍ ومجازٍ عليه فينبغي أن تكون
النَّجْوَى في طاعة الله تعالى ، وينبغي استباق
الخيرات وتقديم الصّدقة قبل مناجاته عليه الصّلاة والسّلام))
الآيات (٥-١٣)

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ
كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ وَقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتِۭۚ بَيِّنَٰتٖۚ
وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ ۝٥ يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُهُم
بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ۝٦

إنّ الّذين يحادّون الله ورسوله : إنّ الّذين يخالفون الله في حدوده وفرائضه فيجعلون حدوداً غير حدوده[1] .

كبتوا كما كبت الّذين من قبلهم : غِيظُوا وأُخْزُوا كما غيظ الّذين من قبلهم من الأمم الّذين حادّوا الله ورسوله وخُزُوا[2] .

شهيد: شاهدٌ يعلمه ويحيط به فلا يَعْزُبُ عنه شيءٌ منه[3] .

إنّ الّذين يخالفون الله تعالى ويخالفون رسوله الّذي أرسله بالهدى ودين الحقّ كُبِتُوا وأهينوا وأخزوا كما كُبِتَ الّذين من قبله المكذّبين رسل الله تعالى إليهم . وقد أنزلنا إلى رسولنا محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم آياتٍ بيّناتٍ ، ومعجزات واضحات الدّلالة . وللكافرين بتلك الآيات البيّنات عذابٌ مهينٌ لهم يوم القيامة ، يوم يبعثهم الله تعالى من قبورهم ، فينبّئهم بما عملوا من سيّئات . أَحْصَى الله تعالى عملهم السّيّء وعدّه عدّاً ونَسُوه . والله تعالى على كلّ شيءٍ شهيدٌ بعلمه وإحاطته ، فلا يَعْزُبُ عنه عزّ وجلّ مِثْقالُ ذرّةٍ في السّماوات ولا في الأرض .

---

(١) تفسير الطّبري ٢٨/ ٩ وانظر المحرّر الوجيز ١٥/ ٤٤٢ و ٤٥٦ .
(٢) تفسير الطّبري ٢٨/ ٩ .
(٣) تفسير الطّبري ٢٨/ ١٠ .

أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٧

ألم تر : ألم تنظر يا محمّد بعين قلبك فترى[1] .

ما يكون من نجوى ثلاثة : ما يكون من حديث ثلاثةٍ سِرّاً بينهم وما يكون من كِتْمانهم النّاس من أحاديثهم[2] يقال : ناجيته أي ساررته[3] .

إلاّ هو رابعهم : معناه أنّه مشاهدهم بعلمه وهو على عرشه[4] ورسله أيضاً مع ذلك تكتب ما يتناجون به ، مع علم الله به ، وسمعه لهم[5] .

ألم تعلم يا محمّد بعين قلبك ويا أيّها الإنسان أنّ الله تعالى يعلم كلّ ما في السّماوات وما في الأرض . ما يكون من نجوى ثلاثةٍ وحديثهم سِرّاً إلاّ هو جلّ وعلا معهم بعلمه وإحاطته ، هذا إلى كتابة رسله جلّ وعلا من الملائكة ما يتناجَوْنَ به ويتحدّثون به سِرّا . وما يكون من نجوى خمسة إلاّ هو جلّ وعلا معهم بعلمه وإحاطته. ولا أقلّ من ثلاثة بأن يكونوا اثنين ، لأنّ أقلّ المناجاة بين اثنين ، ولا أكثر من ستّة إلاّ هو جلّ وعلا معهم بعلمه وإحاطته ، في أيّ مكان كانوا . ثمّ ينبّئهم عزّ وجلّ بما عملوا يوم القيامة ويجازيهم إن خيراً فخير ، وإن شرّاً فشرّ . إنّ الله تعالى بكلّ شيءٍ عليم ، فلا يخفى عليه جلّ وعلا شيءٌ في الأرض ولا في السّماء .

---

(١) تفسير الطّبري ٢٨/ ١٠ .
(٢) انظر –مثلاً– تفسير الطّبري ٢٨/ ١٠ .
(٣) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "نحو" ٢/ ٦٢٦ .
(٤) تفسير الطّبري ٢٨/ ١٠ وانظر المحرّر الوجيز ١٥/ ٤٤٣ .
(٥) تفسير ابن كثير ٨/ ٦٧ .

أَلَمۡ تَرَ إِلَى
ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجۡوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ
وَيَتَنَٰجَوۡنَ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا
جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ
لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ يَصۡلَوۡنَهَاۖ فَبِئۡسَ
ٱلۡمَصِيرُ ٨

سبب النّزول :

قال ابن عبّاس ومجاهد : نزلت في اليهود والمنافقين ، وذلك أنّهم كانوا يتناجَوْنَ فيما بينهم دون المؤمنين وينظرون إلى المؤمنين ويتغامزون بأعينهم . فإذا رأى المؤمنون نجواهم قالوا : ما نراهم إلاّ وقد بلغهم عن أقربائنا وإخواننا الّذين خرجوا في السَّرايا قتلٌ أو موتٌ أو مصيبةٌ أو هزيمة . فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم . فلا يزالون كذلك حتّى يَقْدَمَ أصحابهم وأقرباؤهم . فلمّا طال ذلك وكثر شكوا إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأمرهم أن لا يتناجوا دون المسلمين ، فلم ينتهوا عن ذلك ، وعادُوا إلى مناجاتهم ، فأنزل الله تعالى هذه الآية[1] .

وَرَوى البخاريّ في صحيحه[2] عن عائشة ﵂ أنّ يهود أتوا النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقالوا : السّام عليكم[3]

---

(١) أسباب النّزول للواحدي ٤٧٤ والمحرّر الوجيز ١٥/ ٤٤٤ .

(٢) فتح الباري ١٠/ ٤٥٢ حديث رقم ٦٠٣٠ وانظر ٤٤٩ حديث رقم ٦٠٢٤ و ١١/ ٤١حديث رقم ٦٣٥٦ وصحيح مسلم ٤/ ١٧٠٧ حديث رقم ٢١٦٥ .

(٣) السّام : الموت العاجل فتح الباري ١١/ ٤٢ .

لولا يعذّبنا الله بما نقول : ويقول محيّوك بهذه التّحيّة من اليهود : هلاّ يعاقبنا الله بما نقول لمحمّد صلّى الله عليه وسلّم فيعجّل عقوبته لنا على ذلك[1] .

حسبهم جهنّم : كفاهم جهنم[2] .

ألم تر يا محمّد إلى اليهود والمنافقين الّذين نُهُوا عن النَّجْوَى أمام المؤمنين لأنّ التّناجي يهيج قلق المؤمنين على ذويهم المجاهدين في سبيل الله تعالى ، ولكنّ القوم يعودون لما نُهُوا عنه ويتلذّذون بذلك ويتناجون بالإثم والذّنب العائد إليهم ، والعدوان على المؤمنين ، ومعصية الرّسول صلّى الله عليه وسلّم .

وإذا جاءك اليهود على جهة الخصوص حَيَّوْكَ بما لم يحيّك به الله تعالى من السّلام والأمن والطّمأنينة بل بقولهم عليهم لعائن الله تعالى المتتابعة إلى يوم الدّين : السّام عليك، يريدون الموت السّريع . وهذا من لحن القول والميل بالمعنى إلى الوجهة السّيّئة .

وقد ردّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم الدّعاء عليهم . ولا يجهل اليهود أنّهم يقولون منكراً من القول وزوراً لخاتم النّبيّين وأشرف المرسلين عليهم أجمعين صلوات الله تعالى وسلامه، فيقول اليهود في أنفسهم الأمّارة بالسّوء : هلاّ يعذّبنا الله تعالى عاجلاً بما نقول لمحمّد صلّى الله عليه وسلّم . كفاهم جهنم يصلون حرّها ، فبئس المصير جهنّم .

---

(١) تفسير الطّبري ٢٨/ ١١ وانظر المحرّر الوجيز ١٥/ ٤٤٥ .

(٢) تفسير الطّبري ٢٨/ ١١ والمحرّر الوجيز ١٥/ ٤٤٥ .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٩ إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـٔٗا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٠

بالبرّ : بطاعة الله وما يقرّبكم منه[١]

إنّما النّجوى من الشّيطان : مناجاة المنافقين بعضهم بعضا[٢] والنّجوى بالإثم ونحوه من الشّيطان بغروره[٣] .

يا أيّها الّذين آمنوا إذا تناجَيْتُمْ وتحادَثْتُمْ سِرّاً فلا تتناجوا بالإثم الّذي يعود عليكم، والعدوان على الآخرين ومعصية الرّسول صلّى الله عليه وسلّم ، وتناجوا بطاعة الله تعالى وما يقرّبكم منه ، وبما تتّقون به عذاب الله تعالى . واتّقوا الله تعالى الّذين تُحْشَرُونَ إليه يوم القيامة ، وتَرْجِعُون إليه للحساب والجزاء .

إنّما النّجوى بالإثم والعدوان ومعصية الرّسول صلّى الله عليه وسلّم من الشّيطان الّذي يأمر بالفحشاء والمنكر، لِيَحْزُنَ الّذين آمنوا وتمتلئ نفوسهم بالهمّ والغمّ . وليس ذلك[٤]

---

(١) تفسير الطّبري ٢٨/ ١٢ .
(٢) تفسير الطّبري ٢٨/ ١٢ .
(٣) الجلالين والمحرّر الوجيز ١/ ٤٤٧ .
(٤) انظر هنا المحرّر الوجيز ١/ ٤٤٨ والكشّاف ٣/ ٢٠٩ .

بضارّهم شيئاً إلاّ بإذن الله تعالى . وعلى الله تعالى وَحْدَهُ دون سواه فليتوكّل المؤمنون في كلّ أمورهم .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ
يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ
خَبِيرٞ ١١

سبب النّزول :

قال مقاتل بن حَيّان : أُنْزِلَتْ هذه الآية يوم جُمُعة ، وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يومئذٍ في الصُّفَّة ، وفي المكان ضِيق ، وكان يُكْرِمُ أَهْلَ بَدْرٍ من المهاجرين والأنصار . فجاء أناسٌ من أهل بدر وقد سُبِقوا إلى المجالس ، فقاموا حيال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقالوا : السّلام عليك أيّها النّبيّ ورحمة الله وبركاته . فردّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم عليهم . ثمّ سلّموا على القوم بعد ذلك فردّوا عليهم . فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يُوَسَّعَ لهم . فعرف النّبيّ صلّى الله عليه وسلم ما يحملهم على القيام ، فلم يُفْسَحْ لهم . فَشَقَّ ذلك على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فقال لِمَنْ حَوْلَهُ من المهاجرين والأنصار من غير أهل بدر : قم يا فلان ، وأنت يا فلان . فلم يزل يقيمهم بعدّة النّفر الّذين هم قيامٌ بين يديه من المهاجرين والأنصار أهل بدر . فشقّ ذلك على من أقيم من مَجْلِسِه . وعَرَفَ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم الكراهة في وجوههم . فقال المنافقون : ألستم تَزْعُمُون

أنّ صاحبكم هذا يَعْدِلُ بين النّاس؟ واللهِ ما رأيناه قَبْلُ عَدَل على هؤلاء . إنّ قوماً أخذوا مجالسهم وأَحَبُّوا القرب لنبيّهم فأقامهم وأجلس من أبطأ عنه . فَبَلَغَنا أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال : رَحِمَ الله رجلاً فَسَحَ لأخيه. فجعلوا يقومون بعد ذلك سِراعاً . فتفسّح القوم لإخوانهم ، ونزلت هذه الآية يوم الجمعة[١] .

تفسّحوا : توسّعوا من قولهم مكانٌ فسيح إذا كان واسعاً[٢] .

في المجالس فافسحوا : عن قتادة قال : كانوا إذا رَأَوْا من جاءهم مقبلاً ضَنُّوا بمجلِسهم عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأمرهم أن يَفْسَحَ بعضهم لبعض[٣] يقول: فوسّعوا[٤] .

يفسح الله لكم : يوسّع الله منازلكم في الجنّة[٥] .

وإذا قيل انشزوا فانشزوا : النّشْز والنّشَزُ : ما ارْتَفَعَ وظَهَرَ من الأرض[٦] والارتفاع هنا معنويّ . والمعنى : وإذا قيل انشزوا فانشزوا إلى الخير والصّلاة[٧] وإلى كلّ خير من قتال عدوّ أو أمرٍ بالمعروف وما إلى ذلك[٨] .

---

(١) تفسير ابن كثير ٨/ ٧١ وأسباب النّزول ٤٧٥ .
(٢) تفسير الطّبري ٢٨/ ١٢ .
(٣) تفسير الطّبري ٢٨/ ١٣
(٤) تفسير الطّبري ٢٨/ ١٣ .
(٥) تفسير الطّبري ٢٨/ ١٣ .
(٦) المعجم الوسيط : "نشز" .
(٧) تفسير الطّبري ٢٨/ ١٣ .
(٨) تفسير الطّبري ٢٨/ ١٣ .

يرفع الله الّذين آمنوا منكم والّذين أوتوا العلم درجات : يرفع الله المؤمنين منكم أيّها القوم بطاعتهم ربّهم فيما أمرهم به من التّفسّح في المجلس إذا قيل لهم تفسّحوا ، أو بنشوزهم إلى الخيرات إذا قيل لهم انشزوا إليها ، ويرفع الله الّذين أوتوا العلم من أهل الإيمان على المؤمنين الّذين لم يؤتوا العلم بفضل علمهم درجاتٍ إذا عملوا بما أُمِرُوا به[1] والدّرجات في الجنّة[2] .

يا أيّها الّذين آمنوا إذا قيل لكم توسّعوا في مجالس الذّكر والخير وتفسّحوا في مجالس النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لإخوانكم المؤمنين فتوسّعوا وتفسّحوا . ومعروفٌ أنّ العبرة بعموم اللّفظ لا بخصوص السّبب فالمطلوب من المسلم أن يوسّع لأخيه في كلّ مجالس الخير والذّكر والعلم .

أمّا الثّواب من الله تعالى فيتجلّى في توسيع الله تعالى منازلهم في الجنة ورفع درجاتهم .

وإذا قيل لكم أيّها المؤمنون انشزوا إلى الصّلاة ، وارتفعوا إلى فعل الخيرات فانشزوا وارتفعوا ، يرفع الله تعالى الّذين آمنوا منكم ، وتفسّحوا في المجالس ، وبادروا إلى إقام الصّلاة ، واستباق الخيرات ، والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر ، والّذين أوتوا العلم وعملوا بما أمروا به ، يرفع الله تعالى كلّ أولئك درجاتٍ في الجنّة .

والله تعالى بما تعملون أيّها النّاس خبير ، فلا يخفى على الله تعالى شيءٌ في الأرض ولا في السّماء .

---

(١) تفسير الطّبري ٢٨/ ١٤ .

(٢) الجلالين .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٣﴾

إذا ناجيتم الرّسول: إذا أردتم مناجاته[1]وأراد أحدكم أن يُسارَّه فيما بينه وبينه[2].

فقدّموا بين يدي نجواكم صدقة : فقدّموا أمام نجواكم صدقة تتصدّقون بها على أهل المسكنة والحاجة[3] .

ذلك خيرٌ لكم : عند الله[4] .

وأطهر : لقلوبكم من المآثم[5] .

فإن لم تجدوا : ما تتصدّقون به[6] .

قال عليٌّ ﷺ : إنّ في كتاب الله عزّ وجلّ لآيةً ما عمل بها أحدٌ قبلي ولا يعمل بها أحدّ بعدي . فُرِضت ثمّ نُسِخت. يريد الآية الكريمة وقال رضي الله تعالى عنه : إنّ في كتاب الله عزّ وجلّ لآيةً ما عمل بها أحدّ قبلي ولا يعمل بها أحدٌ بعدي. فُرِضت ثمّ نُسِخت.يريد الآية الكريمة[7]وقال رضي الله تعالى عنه:

---

(١) الجلالين .
(٢) تفسير ابن كثير ٨/ ٧٥ .
(٣) تفسير الطّبري ٢٨/ ١٤ .
(٤) تفسير الطّبري ٢٨/ ١٤ .
(٥) تفسير الطّبري ٢٨/ ١٤ .
(٦) الجلالين .
(٧) تفسير الطّبري ٢٨/ ١٤ والمحرّر الوجيز ٥/ ٤٥٢ .

كان عندي دينار فصرفته بعشرة دراهم ، فكنت إذا جئت إلى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم تصدّقت بدرهم ، فَنُسِخَتْ ، فلم يعمل بها أحدّ قبلي[١] .

أأشفقتم : أخشيتم بتقديم الصّدقة الفاقة والفقر[٢] .

أن تقدّموا : من تقديمكم[٣] .

فإذ : الفاء استئنافيّة . إذ ظرف تضمّن معنى الشّرط[٤] .

لم تفعلوا : الصّدقة[٥] .

وتاب عليكم : ورزقكم الله التّوبة من تركككم ذلك[٦] .

فأقيموا الصّلاة وآتوا الزّكاة وأطيعوا الله ورسوله : فأدّوا فرائض الله الّتي أوجبها عليكم ولم يضعها عنكم[٧] .

يا أيّها الّذين آمنوا إذا أردتم مناجاة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم فقدِّموا أمام نجواكم صدقةً تتصدّقون بها على الفقراء . ذلك التصّدّق خيرٌ لكم عند الله تعالى وأطهر لقلوبكم من المآثم . فإن لم تجدوا ما تتصدّقون به فإنّ الله تعالى غفورٌ لذنوبكم رحيمٌ بكم فلم يكلّفكم مالا تطيقون . وها هي ذي الآية الكريمة تنسخها الآية الكريمة التّالية لها .

أخشيتم أيّها المؤمنون الفقر بتقديمكم قبل نجواكم صدقات. فإذ لم تفعلوا

---

(١) تفسير الطّبري ٢٨/ ١٥ .
(٢) تفسير الطّبري ٢٨/ ١٦ .
(٣) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٢/ ٣٠١ .
(٤) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٢/ ٣٠٠ .
(٥) الجلالين .
(٦) تفسير الطّبري ٢٨/ ١٦ .
(٧) تفسير الطّبري ٢٨/ ١٦ .

الصّدقات وهداكم الله تعالى إلى التّوبة وقَبِلَها مِنكم فأدّوا فرائض الله تعالى الّتي أوجبها عليكم ولم يضعها عنكم فأقيموا الصّلاة بأركانها وواجباتها ومتمّماتها ، وآتوا الزّكاة الفئات الثّمان أصحابها ، وأطيعوا الله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وسلّم طاعةً مطلقة. والله تعالى خبيرٌ بما تعملون ، مطّلعٌ على أعمالكم وأقوالكم ونيّاتكم ، فلا يخفى على الله تعالى شيءٌ في الأرض ولا في السّماء .

(٣)

((المنافقون جند الشّيطان الرّجيم يُناصِحُون اليهود المغضوب عليهم ، ويدّعون الإيمان ، ويتأكّد كذبهم وهَوانُهُمْ يوم القيامة))

الآيات (١٤-١٩)

أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا
غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى
ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمۡ
سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن
سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٦﴾ لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ
أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ
﴿١٧﴾ يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ
وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍۚ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسۡتَحۡوَذَ
عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ
أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾

ألم تر : ألم تنظر بعين قلبك يا محمّد فترى[1].

إلى الّذين تولّوا : هم المنافقون ناصحوا اليهود[2]

قوماً غضب الله عليهم : هم اليهود[3] .

ما هم منكم ولا منهم : ما هؤلاء الّذين تولّوا هؤلاء القوم الّذين غضب الله عليهم منكم ، يعني من أهل دينكم وملّتكم ، ولا منهم ، ولا هم من اليهود الّذين غضب الله عليهم[4] .

---

(١) تفسير الطّبري ٢٨/ ١٦ .
(٢) تفسير الطّبري ٢٨/ ١٦ وتفسير ابن كثير ٨/ ٧٧ والجلالين .
(٣) تفسير الطّبري ٢٨/ ١٦ وتفسير ابن كثير ٨/ ٧٧ والجلالين .
(٤) تفسير الطّبري ٢٨/ ١٦ .

فصدّوا عن سبيل الله : فصدّوا المؤمنين عن سبيل الله فيهم بأيمانهم أنّهم مؤمنون وأنّهم منهم فيحولون بذلك بينهم وبين قتلهم ويمتنعون به ممّا يمتنع منه أهل الإيمان بالله[1] .

ويحسبون أنّهم على شيء : ويظنّون أنّهم في أَيْمانِهِمْ وحَلِفِهِمْ بالله كاذبين على شيءٍ من الحقّ[2] ونَفْع حَلِفهم في الآخرة كالدّنيا[3] لأنّ من عاش على شيءٍ مات عليه وبُعِثَ عليه . ويعتقدون أنّ ذلك ينفعهم عند الله كما كان ينفعهم عند النّاس فيجرون عليهم الأحكام الظّاهرة[4] .

استحوذ عليهم الشّيطان : غلب عليهم الشّيطان[5] واستولى عليهم[6] .

حزب الشّيطان : جنده وأتباعه[7] .

ألم تر يا محمّد بعين قلبك إلى المنافقين الّذين ناصحوا قوماً غضِب الله تعالى عليهم وهم اليهود . وهؤلاء المنافقون ما هم منكم أيّها المؤمنون لأنّهم يدّعون الإيمان ، ولا من اليهود بل هم مذبدبون . ويحلف أولئك المنافقون على الكذب بقولهم إنّهم مؤمنون ، وهم يعلمون أنّهم كاذبون . أعدّ الله تعالى لهم يوم القيامة عذاباً شديداً ، إنّهم ساء ما كانوا يعملون في الحياة الدّنيا . اتّخذ المنافقون أيمانهم وحَلِفهم للمؤمنين جُنّةً ووِقايةً لهم من القتل فصدّوا بادّعائهم الإيمان المؤمنين عن الجهاد في سبيل الله تعالى بقتالهم

---

(١) تفسير الطّبري ٢٨/ ١٧ وانظر المحرّر الوجيز ١٥/ ٤٥٥ .
(٢) تفسير الطّبري ٢٨/ ١٧ .
(٣) الجلالين .
(٤) تفسير ابن كثير ٨/ ٧٨ .
(٥) تفسير الطّبري ٢٨/ ١٨ .
(٦) الجلالين .
(٧) تفسير الطّبري ٢٨/ ١٨.

لأنّهم كافرون على الحقيقة . هذا بالإضافة إلى أنّهم حينما أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر واتّقوا بالأَيْمانِ الكاذبة ظنّ كثيرٌ ممّن لا يعرف حقيقة أمرهم صدقهم فاغترّ بهم ، فحصل بهذا صدٌّ عن سبيل الله لبعض النّاس[1] إنّ للمنافقين يوم القيامة عذاباً مهيناً . إنّهم لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله تعالى شيئاً ولن تنفعهم . أولئك أصحاب النّار هم فيها خالدون . في يوم القيامة يبعثهم الله تعالى جميعاً فيحلفون لله تعالى بأنّهم مؤمنون كما كانوا يحلفون لكم في الدّنيا ، ويحسبون أنّهم على شيءٍ من النّفع في الآخرة بالحلف كذباً كما كانوا على شيءٍ من النّفع في الحياة الدّنيا بالحلف كذباً للمؤمنين . ألا إنّ المنافقين هم الكاذبون دائماً .

لقد استحوذ عليهم الشيطان الرّجيم واستولى عليهم فأطاعوه فأنساهم ذكر الله تعالى . أولئك المنافقون جند الشّيطان الرّجيم . ألاّ إنّ جند الشّيطان الرّجيم هم الخاسرون في الدّنيا والآخرة .

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٨/ ٧٧ .

(٤)
((حزب الله تعالى هم المفلحون))
الآيات (٢٠-٢٢)

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾
كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَّا
تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ
ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ
عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ
مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ
رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ
حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

إنّ الّذين يحادّون الله ورسوله : إنّ الّذين يخالفون الله ورسوله في حدوده وفيما فرض عليهم من فرائضه فيعادونه[1] .

كتب الله : قَضَى الله وخَطَّ في أُمّ الكتاب[2] .

من حادّ الله ورسوله : من عادى الله ورسوله[3] .

وأيّدهم بروحٍ منه : وقوّاهم ببرهانٍ منه ونورٍ وهدى[4] .

أولئك حزب الله : أولئك جند الله وأولياؤه[5] .

إن الّذين يخالفون الله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وسلّم . ويكونون في

---

(١) تفسير الطّبري ٢٨/ ١٨ .
(٢) تفسير الطّبري ٢٨/ ١٨ .
(٣) تفسير الطّبري ٢٨/ ١٨ .
(٤) تفسير الطّبري ٢٨/ ١٨ .
(٥) تفسير الطّبري ٢٨/ ١٨ .

جانبٍ مخالفٍ لجانب الحقّ والهدى أولئك في الأذلّين المَهِينين في الأولى والآخرة . كتب الله تعالى وقضى في أمّ الكتاب لأغلبنّ أنا ورسلي بالحجّة والسّنان . إنّ الله تعالى قويٌّ عزيزٌ غالب .

لا تجد يا محمّد قوماً يؤمنون بالله تعالى وباليوم الآخر يوادّون ويصادقون من خالف الله تعالى وخالف رسوله صلّى الله عليه وسلّم ولو كان المخالفون آباءهم ، أو أبناءهم، أو إخوانهم ، أو أهلهم وقومهم . أولئك كتب الله تعالى في قلوبهم الإيمان الصّادق ، وقوّاهم ببرهانٍ منه ونورٍ وهُدى ، ويدخلهم جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً . لقد رضي الله تعالى عنهم بطاعتهم إيّاه في الدّنيا ، ورضوا عنه بإدخاله إيّاهم جنّات النّعيم في الآخرة . أولئك جند الله تعالى وأولياؤه . ألا إنّ جند الله تعالى وأولياءه هم الفائزون في الأولى والآخرة .

تعقيب :

نودّ أن نشير في هيئة نقاط إلى بعض الأمور المتعلّقة بالسّورة الكريمة :

١– سورة المجادلة من المدنيّ من القرآن الكريم الّذي نزل على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بعد الهجرة[١] .

٢– عدد آيات السّورة الكريمة اثنتان وعشرون آية ، وعدد كلماتها أربعمائة وثلاثٌ وتسعون كلمة ، وعدد حروفها ألفٌ وتسعمائة واثنان وتسعون حرفا[٢] .

٣– لكلّ سورةٍ من سور القرآن الكريم صفتها الخاصّة بها . ويصحّ أن يقال عن سورة المجادلة إنّها تدور حول محوري علم الله تعالى المحيط وقدرته عزّ وجلّ الغالبة . وهذان المحوران متداخلان ومتكاملان . وسنحاول أن نتحدّث عن كلٍّ من هذين المحورين على حدة .

بشأن عِلْم الله تعالى المحيط نتبيّن في الآية الكريمة الأولى النّصَّ على أنّ الحقّ جلّ وعلا هو السّميع البصير . قال تعالى : ﴿ قد سمع الله الّتي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما . إنّ الله سميعٌ بصير ﴾ وجاء في الآية الكريمة الثّالثة القول: ﴿ والله بما تعملون خبير ﴾ وجاء في الآية الكريمة السّادسة عن الّذين يحادّون الله ورسوله القول : ﴿ يوم يبعثهم الله جميعاً فينبّئهم بما عملوا . أحصاه الله ونسوه .والله على كلّ شيءٍ شهيد ﴾وابتدأت الآية الكريمة السّابعة وانتهت بالإشارة إلى علم الله

---

(١) الإتقان ١/ ٤٣ وتفسير ابن كثير ٨/ ٦٠ والجلالين وتفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٢/٢٨ والمحرّر الوجيز ١٥/ ٤٣٤ والكشّاف ٣/ ٢٠٥ والبحر المحيط ٨/ ٢٢٩ وتفسير القرطبي ٦٤٣٩ .

(٢) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٢٨/ ٢ .

تعالى المحيط . قال تعالى : ﴿ ألم تر أنّ الله يعلم ما في السّماوات وما في الأرض . ما يكون من نجوى ثلاثةٍ إلاّ هو رابعهم ولا خمسة إلاّ هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلاّ هو معهم أينما كانوا ثمّ ينبّئهم بما عملوا يوم القيامة . إنّ الله بكلّ شيءٍ عليم ﴾ والله تعالى يعلم ما يتناجى به اليهود والمنافقون من إثمٍ وعدوانٍ ومعصيةٍ للرّسول صلّى الله عليه وسلّم ومن تحيّة اليهود له عليه الصّلاة والسّلام بغير تحيّة الله تعالى له . جاء في الآية الكريمة الثّامنة القول : ﴿ ألم تر إلى الّذين نُهُوا عن النّجوى ثمّ يعودون لما نُهُوا عنه ويَتناجَوْنَ بالإثم والعدوان ومعصية الرّسول وإذا جاءوك حَيَّوْكَ بما لم يحيّك به الله ويقولون في أنفسهم لو لا يعذّبنا الله بما نقول . حسبهم جهنّم يصلونها فبئس المصير ﴾ وفي الآية الكريمة التّاسعة يقال للمؤمنين : ﴿ وتناجوا بالبرّ والتّقوى واتّقوا الله الّذي إليه تُحْشَرون ﴾ وفي الآية الكريمة العاشرة جاء عن التناجي بالإثم والعدوان ومعصية الرّسول صلّى الله عليه وسلّم القول : ﴿ إنّما النّجوى من الشّيطان ﴾ وجاء في الآية الكريمة الحادية عشرة التّذييل الّذي جاء في الآية الكريمة الثّالثة . قال تعالى : ﴿ والله بما تعملون خبير ﴾ والله تعالى غفورٌ لمن لم يجد الصّدقة كي يقدّمها بين يدي مناجاته النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، رحيمٌ به إذ لم يحمّله ما لا يطيق ، خبيرٌ بمن تاب إلى الله تعالى توبةً نصوحاً وأقام الصّلاة وآتى الزّكاة وأطاع الله تعالى وأطاع رسوله صلّى الله عليه وسلّم . جاء في الآيتين الكريمتين الثّانية عشرة والثّالثة عشرة قول الحقّ جلّ وعلا : ﴿ياأيّها الّذين آمنوا إذا ناجيتم الرّسول فقدّموا بين يدي نجواكم صدقة . ذلك خيرٌ لكم وأطهر . فإن لم تجدوا فإنّ الله غفورٌ رحيم . أأشفقتم أن تقدّموا بين يدي نجواكم صدقات . فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصّلاة وآتوا الزّكاة وأطيعوا الله ورسوله . والله خبيرٌ بما تعملون ﴾ والله تعالى لا يخفى

عليه مناصحة المنافقين لليهود المغضوب عليهم وحَلِفُهُمْ بالكذب يدّعون الإسلام . جاء في الآية الكريمة الرّابعة عشرة القول : ﴿ ألم تر إلى الّذين تولّوا قوماً غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون ﴾ والمنافقون يحاولون أن يحلفوا يوم القيامة لله تعالى مدّعين أنّهم كانوا مؤمنين . جاء في الآية الكريمة الثّامنة عشرة القول : ﴿يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنّهم على شيء . ألا إنّهم هم الكاذبون ﴾

وبشأن قدرته عزّ وجلّ الغالبة نتبيّن في الآيات الكريمات من الرّابعة إلى السّادسة النّصّ على عذاب الكافرين الأليم وهذا العذاب يصحّ أن يكون في الدّنيا بالإضافة إلى عذاب الآخرة . وقد أهان الله تعالى كلّ الكافرين في هذه الحياة الدّنيا ، ولهم عذابٌ مهينٌ يوم يبعثهم الله يوم القيامة . قال عزّ من قائل : ﴿ فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسّا . فمن لم يستطع فإطعام ستّين مسكيناً . وذلك لتؤمنوا بالله ورسوله . وتلك حدود الله . وللكافرين عذابٌ أليم . إنّ الّذين يحادّون الله ورسوله كبتوا كما كبت الّذين من قبلهم . وقد أنزلنا آيات بيّنات . وللكافرين عذابٌ مهين . يوم يبعثهم الله جميعاً فينبّئهم بما عملوا . أحصاه الله ونسوه . والله على كلّ شيءٍ شهيد﴾ واليهود المغضوب عليهم الّذين يحيّونه عليه الصّلاة بما لم يحيّه به الله تعالى جاء عنهم في الآية الكريمة الثّامنة القول : ﴿ حسبهم جهنّم يصلونها فبئس المصير ﴾ وجاء في الآية الكريمة التّاسعة الأمر للمؤمنين بأن يتّقوا الله تعالى الّذين يُحْشرون إليه يوم القيامة. قال تعالى : ﴿ واتّقوا الله الّذي إليه تُحْشَرون ﴾ والشيطان الرّجيم ليس بضارّ الّذين آمنوا شيئاً إلاّ بإذن الله تعالى الّذي ينبغي على المؤمنين أن يتوكّلوا عليه . جاء في الآية الكريمة العاشرة القول

: ﴿ إنّما النّجوى من الشّيطان ليحزن الّذين آمنوا وليس بضارّهم شيئاً إلاّ بإذن الله . وعلى الله فليتوكّل المؤمنون ﴾ والله تعالى يرفع الّذين آمنوا والّذين أوتوا العلم درجاتٍ في الجنّة . والعبرة بعموم اللّفظ لا بخصوص السّبب . جاء في الآية الكريمة الحادية عشرة خطاباً للصّحابة رضوان الله تعالى عليهم القول : ﴿ ياأيّها الّذين آمنوا إذا قيل لكم تفسّحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم . وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الّذين آمنوا منكم والّذين أوتوا العلم درجات . والله بما تعملون خبير﴾ والله تعالى غفورٌ رحيم لمن لم يجد ما يتصدّق به قبل مناجاة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، وأرشد الّذين لم يتصدّقوا إلى التّوبة وقبِلَها جلّ وعلا منهم . جاء في الآيتين الكريمتين الثّانية عشرة والثّالثة عشرة القول : ﴿ ياأيّها الّذين آمنوا إذا ناجيتم الرّسول فقدّموا بين يدي نجواكم صدقة . ذلك خيرٌ لكم وأطهر . فإن لم تجدوا فإنّ الله غفورٌ رحيم . أأشفقتم أن تقدّموا بين يدي نجواكم صدقات . فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصّلاة وآتوا الزّكاة وأطيعوا الله ورسوله . والله خبيرٌ بما تعملون﴾ والآيات الكريمات من الخامسة عشرة إلى التّاسعة عشرة تتحدّث عن عذاب المنافقين يوم القيامة وتصفهم بأنّهم حزب الشّيطان وجنده بسبب موالاتهم اليهود المغضوب عليهم وادّعائهم الإيمان والحلف على ذلك الادّعاء . قال تعالى : ﴿ أعدّ الله لهم عذاباً شديداً . إنّهم ساء ما كانوا يعملون . اتّخذوا أيمانهم جُنّة فصدّوا عن سبيل الله فلهم عذابٌ مهين . لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً . أولئك أصحاب النّار هم فيها خالدون . يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنّهم على شي . ألا إنّهم هم الكاذبون . استحوذ الله عليهم الشّيطان فأنساهم ذكر الله . أولئك حزب الشّيطان . ألا إنّ حزب الشّيطان هم الخاسرون﴾ وجاء

في الآية الكريمة العشرين عن الّذين يخالفون الله ورسوله القول : ﴿ إنّ الّذين يحادّون الله ورسوله أولئك في الأذلّين ﴾ والله تعالى القويّ العزيز يقول في الآية الكريمة الحادية والعشرين : ﴿كتب الله لأغلبنّ أنا ورسلي . إنّ الله قويٌّ عزيز ﴾ وحزب الله تعالى وجنده الّذين يؤمنون بالله تعالى وباليوم الآخر هم الفائزون في الأولى والآخرة . جاء في الآية الكريمة الثّانية والعشرين والأخيرة من السّورة الكريمة القول : ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله وباليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كان آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم . أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيّدهم بروحٍ منه ويدخلهم جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها . ﷺ ورضوا عنه . أولئك حزب الله . ألا إنّ حزب الله هم المفلحون ﴾

٤- حكم الظّهار جاء في سورة المجادلة والإشارة الأخرى إلى الظّهار في القرآن الكريم جاءت في الآية الكريمة الرّابعة من سورة الأحزاب .

٥- نودّ أن نومئ هنا إلى ترابط القضايا ، وأخذ بعضها برقاب بعض ، ووحدة السّورة الكريمة عضوياً . بعد حديث السّورة الكريمة في الظّهار وحكمه يكون ثمّة إيماءٌ إلى الّذين يصدّقون أحكام الله تعالى من المؤمنين بالله تعالى وبرسوله صلّى الله عليه وسلّم ، وإلى الكافرين الّذين يخالفون الله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وسلّم ، فلهم خزي الدّنيا وعذاب الآخرة ، عقاباً لهم على السّيّئات الّتي أحصاها الله تعالى ونسوها . وكان الحديث عن إحصاء الله تعالى الشّهيد على كلّ شيءٍ أعمال الكافرين السّيّئة موطئاً للحديث عن إحاطة الله تعالى علماً بما بتناجى به الاثنان فصاعداً ، وإنباء الله لهم يوم القيامة بما عملوا . وكان الحديث عن التّناجي على جهة العموم مرشّحاً للحديث على جهة الخصوص عن

التّناجي في مجالس رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بين المنافقين وإخوانهم من اليهود بالإثم والعدوان ومعصية الرّسول صلّى الله عليه وسلّم ، وتحيّة اليهود له عليه الصّلاة والسّلام بغير ما يحيّ الله تعالى به حبيبه صلّى الله عليه وسلّم .

وكما كان ثمّة توجيهٌ للمؤمنين بأن يتناجَوْا بالبِرّ والتّقوى ، وأن لا يتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرّسول صلّى الله عليه وسلّم ، فإنّ هذا النّوع من التناجي من الشّيطان الرّجيم ، كان ثمّة توجيهٌ للمؤمنين كذلك بأن يتفسحوا ويتوسّعوا لإخوانهم في مجالس رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . أمّا من أراد أن يناجي الرّسول صلّى الله عليه وسلّم فعليه أن يقدّم قبل ذلك صدقةً للفقراء . ثم نُسِخَ هذا الحكم في الآية الكريمة التّالية ، على أن يقيم المؤمنون الصّلاة ، ويؤتوا الزّكاة ويطيعوا الله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وسلّم .

وإنّ موالاة المنافقين لليهود تجاوزت المناجاة بينهم في مجلس رسول الله صلّى الله عليه وسلّم والمؤمنين إلى المناصحة بين الفريقين واتّحادهما ضدّ المؤمنين بقيادة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم . وتتحدّث السّورة الكريمة حديثاً مستفيضاً عن المنافقين حزب الشّيطان الرّجيم وذلّهم في الحياة الأولى إلى حدّ الحَلِف بأنّهم مؤمنون والحقيقةُ أنّهم كافرون ، وعن عذابهم الشّديد يوم القيامة بسبب استحواذ الشّيطان واستيلائه عليهم . إنّ المنافقين والمغضوب عليهم من اليهود وكلّ المخالفين لله تعالى ولرسوله صلّى الله عليه وسلّم في الأذلّين المهينين في الأولى والآخرة .

وهناك في المقابل حزب الله تعالى الّذي لا يأخذه في الحقّ لومة لائم ، والّذي كتبَ الله تعالى له العزّ والتّمكين في الحياة الأولى ، لأنّ الله تعالى راضٍ عنه ، وكتب له الخلود في

جنّات النّعيم في الحياة الآخرة ، فكلّه رضاً لثواب الله تعالى العظيم ، ولفوزه بالخلود في جنّات النّعيم .

٦- تتّضح في سورة المجادلة المدنيّة الكريمة صفات المدنيّ من القرآن الكريم . إنّها تبني مجتمع المدينة المنوّرة بقيادة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم ، بل إنّها تبني الأمّة الإسلاميّة الّتي وُجدت في المدينة المنوّرة واتّسعت حتّى بلغ المسلمون بفضل الله تعالى حيث بلغ اللّيل والنّهار .

وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين . والحمد لله ربّ العالمين .

مكّة المكرّمة

صبيحة يوم الأربعاء ١٥/ ٩/ ١٤٢٣هـ

الموافق ٢٠/ ١١/ ٢٠٠٢م